الاقوال المأثورة : « بيت رباني ما راح وخلاني ». و« يا بيي وسع صدر بيتك للزيارة وللحردة ... بيتي واسع وصدري واسع للزيارة وللحردة » . ومما يلفت النظر في موقف « المرأة الحردانة » والتي ترضع طفلا او تحمل طفلا في بطنها هو انها تكون مسؤولة عن سلامة الطفل . واذا حصل وتوفي الطفل فان اهل المرأة الحردانة حسب العرف والتقاليد ملزمون بدفع دية الطفل المتوفى . وهكذا يتضح موقف المجتمع من الزوجة والذي يعتبرها مجرد وعاء يحمل الطفل .

وتتحدث الباحثة ايضا عن المرأة الغريبة ومركزها في بيت زوجها . ويلخص ذلك الموقف القول المأثور: « الغريبة بدها ثوب يجر ، والخابية تهر وزلمة مر » . اي ان المرأة التي تتزوج رجلا غير ابن عمها بحاجة لنفقات عالية ورجل يحسن السيطرة عليها لانها لا تتصرف بوحي من المصلحة العامة للبيت الذي تحل فيه . وبديهي ان مرد ذلك عائد لان الرابطة بين الزوجين لم تكن مبنية على الحب . ويفسر ذلك ارتباط المرأة باخيها وحبها له اكثر من حبها لزوجها . واما المرأة التي لا أخ ولا أب لها فيطلق عليها المجتمع اسم « قطيعة » اي امرأة بلا اهل يمكن ان يتحكم بها اهل زوجها لعدم وجود من يدافع عنها .

وتعقد جرانكفيست فصلين عن مسألتي الطلاق والترمل . واهم ما يلفت النظر هنا هو اضطرار المرأة الى ان تعلن مسألة حملها من زوجها اذا كانت حاملا امام الملأ وذلك لتثبت بنوة الطفل للزوج الذي طلقها او توفي وتركها . وفي العادة فان ذلك يتم امام الرجال في الديوان . ولا تهمل جرانكفيست كل الامور الاقتصادية التي تتعلق بظروف الطلاق وفقدان الزوج بالوفاة .

الطفولة والحياة الشعبية

لم يغب عن الباحثة ان تتعرف على السلوك النفسي لدى الشعب الفلسطيني ازاء قضيتهم التي كانت قد بدأت في ذلك الوقت تأخذ دورا بارزا على مسرح السياسة العالمي . وتسجل الباحثة مدى اعتزاز الاسر والقبائل باطفالها . وربما كان هذا شيئا طبيعيا . ولكن اعتزاز الشعب الفلسطيني باطفاله ليس مصدره العاطفة العائلية فحسب وانما مصدره اعتزاز الشعب بكيانه . فالقبائل والاسر العربية تكون مجتمعا متماسكا يكاد يكون مستقلا عن الحكومات التي كان الشعب ينظر اليها بوصفها قوة معادية غريبة . وفي ظل هذا الاحساس اعتز الشعب الفلسطيني بأولاده بوصفهم امتدادا لكيانه ووجوده .

ودراسة جرانكفيست عن الطفل الفلسطيني جاءت في كتابين منفصلين يمكن ان يعتبر احدهما وكأنه متمم للاخر او انهما جزءان من عمل واحد . اما الكتاب الاول فيحمل اسم « **الميلاد والطفولة بين العرب** » (طبع في هلسنكي ١٩٤٧) . وقد كرست الباحثة الفصل الاول لمرحلة ما قبل الولادة فتناولت بالدراسة المفردات الشعبية الفلسطينية التي تعبر عن معنى الانجاب والولادة ودرست حالة الام والطقوس المصاحبة للحمل .

وفي الفصل الثاني درست الولادة ورصدت كل الاجراءات المتعلقة بها والاقوال المأثورة التي تتردد عند لحظة الولادة . وتحدثت عن الفرحة الغامرة بمجيء المولود الذكر والتجهم والعبوس الذي تقابل به البنت الانثى . ذلك الذي يتناوله القول المأثور على لسان الام لابنائها في مجال ردها على سؤالهم لها بأن تحكي لهم حكاية ، فتقول :

احكي لكم عن همي وغمي
يوم ولدتني أمي
حطوني ع الصينية
والكل صار يدعي علي

وكرست الباحثة الفصل الثالث للامور المتعلقة لما بعد الولادة . ابتدأت باعلان نبأ الولادة والبشرى ثم انتقلت لمسألة معالجة الام والوليد وطعامهما وأولى الاحتفالات بقطع الحبل السري. وقد أسهبت في التحدث عن المعتقدات المتعلقة بالحبل السري ودفنه واستعمالاته في علاج العاقر وهبة الحياة لاطفال جدد .

وفي الفصل الرابع تتحدث الباحثة عن تربية الطفل. تستعرض هنا وسائل العناية بالطفل وارضاعه وتسجل اغاني المهد التي سمعتها من الرواة في أرطاس . وبالطبع فان هذه الاغاني موجودة في كل مكان بفلسطين وهي مدونة في الكتاب بترجمتها الانجليزية دون تدوين الاصل العربي بالحرف اللاتيني. واذا كان من السهل على الباحث العربي ان يعاود ترميم النص الشعبي الاصيل فان بعض النصوص تستعصي على التحويل . وهنا تكمن